﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠﴾ [البقرة: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا ذَكر اللّه تعالى في الآية السابقة عِظَمَ كفرِ اليهود وغرابتَه؛ إذْ كفروا بالكتاب الذي أنزله اللّه تعالى إلى رسوله محمّدٍ ﷺ؛ ناسب أنْ يذكر سبب هذا الكفرِ، وأنْ ينكرَ عليهم كفرَهم بما أتى به الرسلُ، فذكر نقضهم العهدَ الذي أُخذ عليهم مرارًا، فقد عُرِفَ عَنْهُمْ نَقْضُهم الْعُهُود، وأنَّ هذا هو شأنُهم وديدَنُهم، وَأَنَّهُ لَا رَجَاءَ فِي إِيمَانِ أَكْثَرِهِمْ؛ لِأَنَّ الكفر قَدْ أُشربَ في قلوبهم إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿عَٰهَدُواْ﴾: يدور معنى العهد على حفظ الشّيء ومُراعاته حالًا بعد حالٍ، فسُمِّي المَوْثِقُ الّذي يَلزم مراعاتُه عهدًا، وعَهِدَ فلان إلى فلان: ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه، فكلّ ما يلزم الاحتفاظ به يسمّى عهدًا، والمُعَاهَدُ في عُرف الشّرع يختصّ بمن يدخل من الكفّار في عَهْدِ المسلمين، فيلزم حفظُه وحفظ ما يجب له، والعهد في الآية المِيثاق الّذي أعطتْه بنو إسرائيل ربَّها من لزومهم العمل بما في التّوراة والمداومة عليه، ومِنْ جُمْلةِ العَهْدِ أن يؤمنوا برسول اللّه محمّدٍ ﷺ المُصَدِّقِ لِلتَّوْراةِ[2].

2) ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: أَلقى الشّيءَ وطرحَه لقلّة الاعتداد به، والنَّبْذُ والطَّرْحُ والإلقاءُ متقاربة، لكنَّ النَّبذ أكثر ما يقال فيما يُنسى، ولذلك يقال: نَبَذْتُهُ نَبْذَ النَّعْل الخَلِق، وَنَبَذْتُ الشَّيْءَ أَيضًا إذا رَمَيْتَهُ وأبعدتَه، وكلّ ما يُهمل فيُترك فهو منبوذ، ومنه المنبوذة لِما لَا يُؤْكَلُ مِنَ الْهُزَالِ؛ شَاةً كَانَتْ أَو غَيْرَهَا، ومنه سُمّي النَّبيذُ لأنَّه يُنَحَّى زمنًا طويلًا إلى أن يَصلُح، والانتباذُ الاعتزالُ والتّنحّي ناحيةً، ومن المجاز: نَبَذَ أمري وراء ظهره

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/333.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (عهد)، وابن جرير، جامع البيان: 2/400.

إذا لم يعمل به، ونبذ العهدَ نقَضه، وقوله تعالى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾من الطَّرح المَجازيّ، بمعنى نقضِ العهدِ والإعراضِ عنه، بحيث يُنسى لقلّة الاعتداد به[1].

3) ﴿فَرِيقٌ﴾: أصلُ الكَلِمَةِ فَرَقَ، والفَرَقُ يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَفَصلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ؛ أي فَصْلٍ بَينَ أبعاضٍ، وَمِنه الفَرِيقَةُ، وهُوَ القَطِيعُ مِنَ الغَنَم، كَأَنَّهَا قِطْعَةٌ فَارَقَتْ مُعْظَمَ الغَنَم، والفُرْقَانُ: كِتَابُ اللَّه تَعَالَى فصَل بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، والفُرْقَانُ: الصُّبْحُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ بِه يُفْرَقُ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، والفريق الجماعةُ من مجموعٍ، لا واحدَ له من لفظه، يُطلق على القليل والكثير[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تشير الآية الكريمة إلى عادة قبيحة في اليهود وهي: نقض العهود، فهم كلما عاهدوا عهدًا- ومن جملة العهود التي أخذوها على أنفسهم الإيمان بما دلت عليه التوراة من نبوة محمد ﷺ طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، لأن أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بما أنزل الله تعالى حقيقة، إذ الإيمان يحمل صاحبه على الوفاء بالعهد[3]، وفي الآيةِ مِن شدّةِ الذَّمِّ ما فيها؛ فإنَّ "ذمّ الإنسانِ على عَدم العملِ بما كان التزمَ العَمَلَ به أَشَدُّ من ذَمِّه على إنكارِ ما يَعلمُ صِحَّتَهُ"[4].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

غرضُ الاستفهام في صدرِ الآيةِ:

الإنكارُ والتَّوبيخُ والتَّعجيبُ بِقصْدِ الارتداعِ عنْ نبذِ العَهْدِ

أفادَ الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ الإنكارَ والتَّوبيخَ والتَّعجيبَ[5]، فالآيةُ تُنكرُ على بني إسرائيلَ نَبْذَهُم العهدَ، واستمرارَهم على نقضِهِ، معَ التَّوبيخِ والتَّقريعِ على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزمخشري، أساس البلاغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عهد)، والرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/272.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).

(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/272، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/382.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/382.

(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/256، وأبو حيان، البحر المحيط: 1/482، والنيسابوري، غرائب القرآن: 1/331، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/312، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/597.

هذا الفعلِ الشَّائن، وفي الاستفهامِ تعجيبٌ من عَدم التزامِهم بالعهودِ المذكورةِ في التَّوراةِ، ومنها أنّهُ أَخذَ عليهم الإيمانَ برسولِ اللّهِ محمّدٍ ﷺ ثمّ نبذَهُم لهُ عِنادًا واسْتكبارًا؛ فجمعَ الاستفهامُ بين معاني الإنكارِ وَالتَّوبيخِ والتَّعجُّبِ من شأنِ بني إسرائيل في تعامُلِهم مع رُسُلهم ومع القرآن، ومقصودُ ذلك حملُهم على الإقرارِ ليَرتدِعوا عمَّا همْ فيه من الغِوايةِ والكِبْرِ[1].

تعدُّدُ أَوْجُهِ الرَّبط بين الواو والجملِ المعطوفَةِ عليها:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنهُم﴾ إمَّا أنْ تكونَ عَطفتِ الجملةَ المذكورةَ على أخرى محذوفةٍ بعدَ همزةِ الاستفهامِ، والتقدير: أَكَفَرُوا بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَكُلَّما عاهَدُوا، وهذا مذهبُ الزَّمخشريّ[2]، فالاستفهامُ الإنكاريُّ متوجِّهٌ إلى الجُملةِ المحذوفةِ والمعطوفةِ، ونُكْتتُهُ: تحريكُ ذهنِ المُخاطَبِ إلى استنباطِ المعاني.

وإمَّا أنْ تكون على التَّقديمِ والتَّأخيرِ، وَالْأَصْلُ (وَأَكُلَّمَا)، وَقُدِّمَ حرفُ الاستفهامِ لأنَّ لَهُ الصَّدارةَ في الكلامِ، وهذا مذهبُ سيبويه[3]، ونُكتَتُه: تَوبيخُهم والتَّعجيبُ من نبْذِهم عهدَ اللّهِ ثمَّ اسْتِمْرَارِ ذلكَ منْهُم حتّى صار سَجِيَّةً لهُمْ[4]، ولإثارةِ المخاطَبِ وتهيئتِه لاستماعِ ما يردُ في الكلامِ؛ لأنّه مصدَّرٌ بالإنكارِ على فعلٍ متكرِّرٍ واقعٍ من المخاطَبِ.

العُدولُ عن المصدرِ إلى اسمِه:

تضمينُ فعلِ العهدِ معنى الإعطاءِ

عدلَتِ الآيةُ عن المصدرِ إلى اسمه في قولِه تعالى: ﴿عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾، ولو جاء على الأصلِ لَقال: "عَاهَدوا مُعاهَدَةً"؛ لأَنَّ مصدرَ عاهَدَ هو المُعاهَدةُ، فعَدلَ عنْ مصدرِ الفعلِ المذكورِ إلى ﴿عَهْدًا﴾ لتَضمينِ الفعلِ ﴿عَٰهَدُواْ﴾ معنى أَعْطَوا[5]؛ أي: أَعْطَوا عَهْدًا؛ ليدلّ الفعلُ ﴿عَٰهَدُواْ﴾ على مدلولِهِ اللّغويِّ وهو الالتزامُ، وعلى مدلولِ الفعلِ المُضَمَّنِ وهو الإعطاءُ، فذكرَ فِعْلًا واحدًا ودلَّ على معنيين، فكأنّهم قد أَعْطَوا ميثاقًا على التزامِهم بالعَهْدِ.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/176.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/162، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/518.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/184، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/518.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/598.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/519.

دلالة التَّنوينِ في قوله﴿عَهْدًا﴾:

أفادَ التَّنوينُ في كلمة: ﴿عَهْدًا﴾ التَّقليلَ؛ أي: كلّما عاهدوا عهدًا، وإنْ كانَ عهدًا صغيرًا وقليلًا بحيث لا يكلّفُهم ولا يُجْهِدُهُم، نَبَذوه وطَرحُوه غيرَ مُبالين بهِ، وهو دليلٌ على أنَّ نقض العهودِ لا تعلُّقَ له بشيءٍ بقَدْرِ تعلُّقِه بأخلاقِهم الرَّديَّةِ في التَّعاملِ مع المعاهَدين، فهم يحتقرون كلَّ من يُعاهدُهم، ويمدُّ يدَ التَّعاونِ إليهم.

العدُولُ عن المضارِعِ إلى الماضي:

إبـــرازُ مكـنـونِ أنفسِ المعاهدين بأنَّ نقضَهم لأمرٍ نفسيٍّ ثابت

عدَلَ النَّظمُ عن صيغة الفعلِ المضارِع حسب ما يقتضيه الظَّاهرُ إلى صيغة الفعل الماضي في قولِه تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ﴾؛ لنكتةِ إبرازِ نبْذِهم العهدَ في مَعْرِضِ الحاصلِ والواقعِ؛ لِقوَّةِ الأَسبابِ المُتآخِذَةِ في وُقوعِه، وهي إضمارُهُمْ مِنْ قبلُ على نقضِ العهدِ، وإصرارُهم عليه، فما هو آيلٌ للحُصولِ كالحَاصِل[1].

بلاغةُ الاستعارة في إسناد النّبذ إلى العهد:

تشبيه المعقولِ بالمحسوسِ لإيضاحِ قبيحِ أفعالِهم، وسُوءِ صنائعِهم

أَسْنَدَ النَّبْذَ إلى العَهدِ عَلى طَريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيّةِ التَّبعيَّةِ، فقالَ: ﴿نَبَذَهُۥ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى العَهْدِ، وإنّما كانَ مَجازًا بالاستعارةِ؛ لِأَنَّ الْعَهْدَ مَعْنًى، وَالنَّبْذَ محسوسٌ، ويكون بإلقاء الشَّيْءِ مِنَ الْيَدِ، فَـ"شَبَّهَ إِبْطَالَ العَهْدِ وعَدَمَ الوَفَاءِ بِهِ بِطَرْحِ شَيْءٍ كَانَ مَمْسُوكًا بِاليَدِ؛ كَمَا سَمَّوُا الْمُحَافَظَةَ عَلَى العَهْدِ وَالْوَفَاءَ بِهِ تَمَسُّكًا"[2]، وأفادت الاستعارةُ قُبحَ فعلِهم معَ إقامةِ الحجّة على شناعتِه؛ إذ جعلوا عهدَ اللّه سُبحانه شَبيهًا بالشَّيءِ المنبوذِ، إذِ النَّبْذُ طَرْحٌ مع احتقارٍ[3]، فكأنَّهم رمَوْهُ بعيدًا كما تُرمَى المحقَّراتُ للتَّخلّصِ منها، ثمَّ نَسُوهُ ولمْ يَعْتَدّوا بِهِ.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 244.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/625، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/519.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 2/71.

إيثارُ استعمالِ كلمةِ ﴿فَرِيقٌ﴾:

افـتراقُ القـومِ لـيس افـتراقَ اختلافٍ؛ بل هو افـتراقُ تـوزيـعِ مَهامَّ

آثرتِ الآيةُ ذكرَ لفظِ فريقٍ دون جماعةٍ أو حزبٍ أو طائفةٍ؛ لأنَّه لـمّا أسندَ النَّبْذَ إلى الفريق دلَّ على أنّ له صفاتٍ من جنسِ المجموعِ؛ لأنَّ الفريقَ بمفهومِه اللغويّ يدلُّ على فصلٍ بين أبعاضِ مجموعٍ متجانسٍ، فمَا يقومُ به الفريقُ من نَبْذِ العهدِ قد يقومُ به المجموعُ؛ لتآلفِ صفاتِهم في مَجموعهم، وأشارتِ الآيةُ إلى أنَّ القومَ يتعاقبون في أعمالِهم على شكلِ فِرَقٍ، ففي كلِّ مرَّةٍ يتولَّى فريقٌ منهم المهمّةَ، فهم لم يفترقوا افتراقَ اختلافٍ؛ بل افتراقَ توزيعِ مَهامَّ.

اجتماعُ الاستغراقِ والاحتراسِ في معنى الكلامِ:

دلَّ العُمومُ في كلَّما وتنكيرُ فريقٍ وإسنادُ النَّبْذِ إلَى فَرِيقٍ على الاستغراق الزَّمني، بِاعْتِبَارِ الْعُصُورِ التِي نَقَضُوا فِيهَا الْعُهُودَ، كَمَا يُؤْذِنُ بِهِ التّكرُّر الزَّمنيُّ في (كُلَّمَا)، وأُسنِدَ النَّبْذُ لفريقٍ دون الجميع للاحْتِرَاسِ مِنْ شُمُولِ الذَّمِّ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ[1]، والاستغراقُ والاحتراسُ فائدتان بيانيَّتان تُستنطقان من نظمِ الكلامِ وسياقِه.

بلاغةُ حرفِ الإضرابِ:

الاحـتراسُ عن تـوهـمِ الـقـلّـةِ، والتَّقريرُ لموافقةِ الأكثرِ للفريقِ

جيءَ بحرف الإضرابِ للاحتراسِ، ولدفعِ الإلباس من توهُّمِ السَّامع أنَّ الفريقَ الذي نَبَذَ العهدَ قليلٌ منهم، فقيل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لِيُعلم أنَّ من يوافقُ المُسيءَ النَّابذَ في قلبه ولسانه فهو مشاركٌ له في أعمالِه، فيكونُ قولُه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ تقريرًا لدلالة الفريقِ على الأكثرِ وتأكيدًا له؛ فليست ﴿بَلْ﴾ ناقضةً لمعنى الكثرةِ المرادةِ في ﴿فَرِيقٌ﴾، وإنّما هي للتَّأكيدِ وللتّقريرِ[2].

الـتّرقّـي في التَّوبيخِ والذّمِّ إلى الأغلظِ فالأغلظِ

أفادَ حرفُ الإضرابِ ﴿بَلْ﴾ الانْتقالَ مِنْ خبرٍ إلى خبرٍ، ومن أساليب البلاغةِ أَنْ يُظْهِرَ المُتَكَلِّمُ أَنَّهُ يُوَفِّي حَقَّ خَصْمِهِ في الجِدَالِ،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/135، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/625.
(2) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 1/344.

فَلَا يَنْسُبُ لَهُ المَذَمَّةَ إِلَّا بِتَدَرُّجٍ وانتقالٍ مِمَّا يُظنّ أنّه قد تمَّ به الخبرُ إِلَى مَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ في ذَلِكَ الْغَرَضِ[1]، فقد نَسَبَ نَبْذَ العَهْدِ إلى فَريقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ عنْهُمْ بعدُ بِأَنَّ أَكثرَهُمْ لا يؤمنونَ، فَتَرَقّى مِنَ الإخبارِ عنْهُمْ بنَبْذِ عَهْدِ اللّهِ إلى ما هو أَغلظُ منهُ، وهو الإخبارُ عنهمْ بحرفِ الإضرابِ بأَنَّ أكثرَهُم لا يُؤمنونَ.

الإعجازُ الغَيْبيُّ في الإخبـارِ عن كفرِ أكثرِهم

أخبرَتِ الآيةُ أَنَّ أكثرَ اليهودِ لا يؤمنونَ؛ بدلالة الإقرارِ التي يتضمّنُها حرفُ الإضرابِ الانتقاليّ ﴿بَلْ﴾، وصيغةُ الفعلِ المضارعِ المفيدةُ لِتجدّدِ نفيِ الإيمانِ عنهم تدلُّ على هذا الإعجازِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/625.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»